قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان
والجملة قبلها اعتراضي بما هو علة الحكم وهو الميم في عليهم نحو عليهم ءانذرتهم فالاية مما احتج به من جوز
تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه وتعالى اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو امنوا انقلب خبره كذبا
وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا
من حيث ان الاحكام لا يستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء
او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد
العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل عليك
كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية الكريمة اخبار بالغيب
على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيناف
من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه اخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة
فعالة من غشاه اذا غطاه وبنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية
على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي
واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح
فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم
وابصارهم لا تجتلي الايات المنصوبة لهم في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين المستبصرين
وتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماها على الاستعارة ختما وتغشية
او مثل قلوبهم ومشاعرهم المألوفة بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها
ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على
قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه وبالاقساء في قوله
وجعلنا على قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة
بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما افترقوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم
وقوله تعالى ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الاية ناعية عليهم شناعة صفتهم
ووخامة عاقبتهم واضطرت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل الاول ان القوم لما
اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه
الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او قلوب مقدر
ختم الله تعالى عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء ا
غبت الحادث

ان ذلك

ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد
الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم
سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه
اشعار على ترامي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت
الكفرة يقولون مثل قوله تعالى قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الاية السادس ان ذلك في الاخرة وانما اخبر عنه
بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما السابع
ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة يعرفها الملائكة فيبغضونهم ويتنفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا
وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى معطوف على قلوبهم لقوله وختم على سمعه
وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما
من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع
لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين و
استقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر
لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق
مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الاية العضو لانه اشد مناسبة
للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال الله تعالى ان في
ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد وحرف الصاد مانع من الامالة لان الراء
المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار
والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على
ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة
وبالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة
ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه
والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء العذب
لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان
لم يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب
الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير وكما
ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بساير ما يجانسه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)